خطط التخريب الاقتصادى الصليبى ضد سلطنة المماليك:

دراسة فى مخططات البابا كليمنت الخامس التحريضية ضد العالم الإسلامى"

د/حمد فهد حمد العازمي

وزارة التربية – الكويت

hamadaldmak@gmail.com

المستخلص

لم يتمكن الصليبيون على مدار عقود طويلة قاربت القرنين من الزمان أن يتخلصوا من عقدتين رئيسيتين: عقدة النجاح الكاسح وعقدة الفشل المرير، النجاح الكاسح متمثلاً فى الحملة الصليبية الأولى 491هـ / 1097م التى حقق الصليبيون فيها كل شىء أسسوا إمارات وحققوا مكتسبات بل وشيدوا مملكة بيت المقدس فى يوليو493هـ / 1099م، وعاشوا حياة رغدة فى بلاد الشرق التى آمنوا دائماً أنها تفيض سمناً وعسلاً طبقاً لما قاله محرضهم الأساسى البابا أوربان الثانى Urban ii(1088-1099م) لم يستطيعوا أن يعيشوا مثلها فى بلادهم الأصلية، وبالتالى كان وجودهم راسخاً ومكتسباتهم ضخمة لا يمكن التخلى عنها أو التنازل والعودة إلى ما قبل مجمع كليرمونت1095م .

وقد كانت الحروب الصليبية تمثل ذروة الصراع الدامى بين الغرب الأوروبى والشرق الاسلامى، ورغم استمرار هذه الحروب قرابة القرنين من الزمان الا أن البابوية لم تنجح فى حسم الصراع لصالحهم رغم استخدامها كل السبل خلال هذا الصراع الذى انتهى بالفشل المرير فى الشرق الاسلامى ، وتمثل هذا الفشل المرير فى إنحسار الممتلكات إمارة تلو إمارة، وسقوط أمجاد المملكة وفتور الروح الصليبية وتساقط القلاع والأبراج والتحصينات والممتلكات حتى التلاشى التام وبالتالى فإن الباحث حاول التصدى لهذه الفكرة من منظور آخر تمثل فى دراسة الخطاب التحريضى وخطط الإفشال الاقتصادى لواحد من أبرز الباباوات عداءاً للمسلمين والعالم الإسلامى وهو البابا كليمنت الخامسClement V

الكلمات المفتاحية:التحريض ، الصليبيين، المماليك

مقدمة :

<u>دمروا سلطنة المماليك إقتصاديا (مقولة البابا كليمنت الخامس) ،،،</u>

لم يتمكن الصليبيون على مدار عقود طويلة قاربت القرنين من الزمان أن يتخلصوا من عقدتين رئيسيتين: عقدة النجاح الكاسح وعقدة الفشل المرير، النجاح الكاسح متمثلاً فى الحملة الصليبية الأولى 491هـ / 1097م التى حقق الصليبيون فيها كل شىء أسسوا إمارات وحققوا مكتسبات بل وشيدوا مملكة بيت المقدس فى يوليو493هـ / 1099م، وعاشوا حياة رغدة فى بلاد الشرق التى آمنوا دائماً أنها تفيض سمناً وعسلاً طبقاً لما قاله محرضهم الأساسى البابا أوربان الثانى **Urban ii (1088-1099م)** لم يستطيعوا أن يعيشوا مثلها فى بلادهم الأصلية، وبالتالى كان وجودهم راسخاً ومكتسباتهم ضخمة لا يمكن التخلى عنها أو التنازل والعودة إلى ما قبل مجمع كليرمونت 1095م.

وقد مثلت الحروب الصليبية ذروة الصراع الدامى بين الغرب الأوروبى والشرق الاسلامى، ورغم استمرار هذه الحروب قرابة القرنين من الزمان إلا أن البابوية لم تنجح فى حسم الصراع لصالحهم رغم استخدامها كل السبل خلال هذا الصراع الذى انتهى بالفشل المرير فى الشرق الاسلامى ، وتمثل هذا الفشل المرير فى إنحسار الممتلكات إمارة تلو إمارة، وسقوط أمجاد المملكة وفتور الروح الصليبية وتساقط القلاع والأبراج والتحصينات والممتلكات حتى التلاشى التام!!

وبناءاً عليه فإن الفكر الصليبى لم يكن ليترك العالم الإسلامى ليحيا حياة طبيعية آمنة بعيداً عن الأطماع وأحلام العودة، هنا حدثت مغامرات عسكرية مدفوعة برغبات الكنيسة وتهديدات الحرمان كتب عليها الفشل، الأمر الذى أدى الى ظهور تفكير جديد للحملات الصليبية على المسلمين وبعد محاولات ومغامرات فاشلة ظهرت أفكار أخرى مثل الحصار الاقتصادى على أراضى المماليك من أجل حرمان سلطنة المماليك من واردات الحرب الأساسية من ناحية ، ومن ناحية أخرى، إرهاق مواردها المالية الأمر الذى اصطدم مع أطماع الجمهوريات الإيطالية وبريق المال، أو مشاريع

للحروب الصليبية مثلت رؤى نظرية لم تتحقق على أرض الواقع ولكنها حملت روحاً عدائية كبيرة وخطط تحريضية كان الهدف منها ليس مجرد العودة لبلاد الشرق بل الإجهاز التام والإسقاط المجتمعى والإفشال الاقتصادى ، وكانت البابوية تهدف من وراء استخدام سياسة الحصار الاقتصادى نقل المواجهة من الجانب العسكرى الى الجانب الاقتصادى ليتسنى لهم تحقيق الانتصار عن طريق الحصار الاقتصادى وهو مالم يتحقق عن طريق الحروب العسكرية.

وفى واقع الأمر فإن الحصار الاقتصادى ومشاريع الحروب الصليبية المتأخرة محاور بحثية هامة ناقشتها دراسات سابقة كثيرة ومتعددة[1] وبالتالى فإن الباحث حاول التصدى لهذه الفكرة من منظور آخر تمثل فى دراسة الخطاب التحريضى وخطط الإفشال الاقتصادى لواحد من أبرز الباباوات عداءاً للمسلمين والعالم الإسلامى وهو البابا كليمنت الخامس **Clement V** .

البابا كليمنت الخامس وتبنى إستراتيجيات التحريض ضد العالم الإسلامى :

لم تنل سياسة البابا كليمنت الخامس ومخططاته تجاه العالم الإسلامى بشكل عام وسلطنة المماليك بشكل خاص فى الفترة محل البحث لم تنال حظها من الدراسة والبحث فمعظم الدراسات تناولت الحصار الاقتصادى عامة دون الخوض فى تفاصيل الفكر البابوى لباباوات الغرب الأوربى تفصيلياً. وقبل التطرق الفكر الصليبيى للبابا

(1) ومن هذه الدراسات محمد الشيخى: مشروعات دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء 2001م؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، "الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية" ، بحث منشور في كتاب : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت 1977، ومن الدراسات الهامة التى ناقشت قضية الحصار البابوى دراسة : نجلاء مصطفى عبد الله شيحة : الجاليات الأوربية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة بنى سويف ، مصر ، 2007، ص 82 : ص 102 .

كليمنت الخامس نرى أنه من الأوفق أن نتناول بعض الجوانب الشخصية للبابا كليمنت الخامس .

فى أعقاب وفاة البابا بندكت الحادى عشر **Benedict XI** (1303-1304م) تولى برتراند دى جوت Bertrand de got عرش البابوية تحت اسم كليمنت الخامس وتوج فى نوفمبر 1305م. (1) كان البابا كليمنت الخامس شديد الحنق على المسلمين بصفة عامة والمماليك بصفة خاصة فكان شعاره **دمروا سلطنة المماليك إقتصاديا** (2) ، وهو حسب إحدى الكتابات الهامة من أشهر الباباوات الذين تمسكوا بوقف التعامل مع مصر ، بل أصدر مرسوماً يحرم مجرد الإبحار إلى الأراضى المملوكية ومن ثم الاتجار مع سلطنة المماليك (3) ، ومن الجدير بالذكر فقد كانت العلاقات بين دولة المماليك والبابوية كانت مقطوعة حتى سنة 727هـ/ 1326م فلم "يأت رسل من عند البابا إلى مصر منذ أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب".(4)

---

(1) Hously,N., pope V Clement and crusade of 1309-1311,in journal of medieval history, vol.5,.,p.34; Chein,S., the west and crusade attitude attempts 1291- 1312,Cambridage,1979,pp.67-68.

راجع أيضا: سعيد عاشور: الحصار الاقتصادى ، ص155.

Kelly,D., Oxford dictionary of popes,p.209;Boase,S., Boniface VIII, London,1982,p.9.

(2) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, cvra et studio monachorum ordinis S. Benedicti, tome.3,Rome,1884,p995.CF . also; Menache,S., *Clement V,P.59.*

(3) نجلاء شيحة : الجاليات الأوربية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، ص 85 .

(4) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، سعيد عاشور ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1956 – 1972م ، جـ2، صـ287.

و كيفما كان الأمر فيتضح فى كلمات البابا كليمنت مدى الحقد الدفين والكره الشديد تجاه سلطنة المماليك، ولم يأت شعاره هذا وحنقه على المماليك من فراغ ، بل كان هناك ثمة عوامل دفعته الى تبنى مبدأ الحصار الاقتصادى ضد سلطنة المماليك :

العامل الأول :

يأتى فى مقدمة هذه العوامل سقوط وتهاوى أحلام الصليبيين فى بلاد الشرق بتحطم الكيان الصليبى بعد نجاح السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون فى استرداد عكا 690هـ/1291م تأكدت البابوية من مدى قوة سلطنة المماليك وعدم قدرتهم على مواجهتهم عسكريا، فلم تعد هناك قناعة بفكرة الحرب العسكرية وحل محلها فترة من قلة الحماس والفتور على حد قول همبرت أوف رومانز مقدم طائفة الدومنيكان [1] الذى رأى أنه لاجدوى الدخول فى حرب خاسرة فميزان القوة أصبح لصالح المسلمين.) وبالتالى كان سقوط عكا من العوامل التي دفعت البابوية نحو إعادة حساباتها 2(بشأن الحرب الاقتصادية ضد سلطنة المماليك، على أسس صارمة، كوسيلة متاحة) 3لإضعاف قوتها الاقتصادية والعسكرية. (

---

[1] **جماعة الرهبان الدومنيكان:** سميت بذلك الاسم نسبة الى القديس دومنيك القشتالى وهو سليل احدى الأسر النبيلة رحل الى وسط فرنسا لمجادلة الألبيجيسيين فى عام 1215م وكان من أهم أتباعه توما الأكوينى واشتهر أعضاء هذه الجماعة باسم الاخوة المبشرين. انظر:حسين عطية:امارة أنطاكية الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ،1998م،هامش رقم 63،ص244؛ لبنى عبد العزيز: المبشر الأسبانى ريموند لل ومحاولاته إحياء الحروب الصليبية (1291-1315م/690-715هـ)،دار تموز، سوريا، هامش رقم 3،ص 26 .

([2]) محمد على المشيخى: مشروعات دعاة الحروب الصليبية، ص50.

([3]) Ashtor, Levant Trade in the Later Middle Ages, New Jersy, 1983, p.17.

وكان البابا كليمنت شاهًدا على الخيبة الصليبية أمام المماليك وعلى حد قوله" **لقد انتُزعت روحى بسقوط طرابلس وعكا على أيدى المماليك**" الأمر الذى زاد من كراهيته للمماليك [1] ومما سبق يتضح أن كليمنت الخامس كان عاقدا العزم على إلحاق الضرر بسلطنة المماليك جراء لما قاموا به من تحطيم الكيان الصليبى فى الشرق .

العامل الثانى :

تمثل هذا العامل فى حالة الهلع والخوف التى أصابت المجتمع الصليبى من سلطنة المماليك بعد نجاحهم فى تحطيم الكيان الصليبى الأمر الذى جعلهم لا يريدوا تكرار الحملات الصليبية لما قد يلحق بهم من مخاطر وأهوال ، وكانت هذه الحالة المزرية التى وصل اليها الصليبيون عاملاً مساعداً للبابا كليمنت لتنفيذ أفكاره القاضية بحصار سلطنة المماليك إقتصاديا ثم الإجهاز عسكريا عليهم.[2]

العامل الثالث :

تمثل فى المكاسب التى جناها المماليك نتيجة للأرباح الضخمة التي حصلوا عليها من وراء النشاط التجارى، خاصة بعد إزدياد هجمات المغول وتوسعاتهم التى نتج عنها توقف طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والتى كانت تمر بالخليج العربى أو البحر الأسود ثم فارس الأمر الذى أدى الى بروز طريق البحر الأحمر الذي تسيطر عليه سلطنة المماليك كممر آمن للحركة التجارية بين الشرق والغرب وتدهور طرق التجارة الاسيوية نتيجة لهجمات المغول وبالتالى جنى سلاطين المماليك أموال وفيرة وترتب على ذلك تحكم مصر بطريق التجارة العالمية فى تلك الفترة باعتبارها

---

(1) ومن أهم هذه الدراسات دراسة محمد الزامل : الحصار الاقتصادى على مصر فى أواخر العصور الوسطى 1291-1517م. وهى فى الأساس عبارة عن دراسة ماجستير تناولت الحصار الاقتصادى عامة دون التطرق لدور البابوات فى الغرب الأوربى وأفكارهم فى الحصار الاقتصادى على سلطنة المماليك.

(2) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, P.119. CF also: Chein,S., the west and crusade,p.98.

) ، 1البوابة التى تمر من خلالها البضائع الشرقية الى الغرب والبضائع الغربية للشرق(
خاصة أن عائد هذا النشاط التجارى تم الاستفادة منه في استيراد المواد الحربية التي
)، وبقدر تعاظم قوة سلطنة المماليك بقدر ما ازدادت أوضاع 2كانت مصر تفتقر إليها(
الصليبيين في الشام حرجاً، حتى تمكن المماليك من اقتلاع جذورهم 690
هـ/1291م.

كل هذه العوامل جاءت سبباً فى إزدياد غضب واشتعال نيران الثأر من جانب البابا كليمنت ضد المماليك الأمر الذى جعله يقدم على وضع مخططات تخريبية ضد المماليك لإضعاف قوتهم الاقتصادية والعسكرية.

وكيفما كان الأمر وقد وضعت البابوية عن طريق المجامع الكنيسة اللبنات الأولى لسياسة الحظر الاقتصادى التي فرضتها البابوية على التجارة مع المسلمين بداية من مجمع اللاتيران الكنسى575هـ/ 1179م الذى اتخذ قراراً بحظر تصدير المواد الحربية إلى المسلمين، أو تقديم العون لهم في النواحي الحربية، ويطرد من رحمة الكنيسة كل المسيحيين الذين يمدون المسلمين بالأسلحة والحديد والأخشاب اللازمة لتشييد السفن والذين يخدمون على متن السفن الإسلامية وكان ذلك القرار بمثابة اللبنة الأولى في سياسة الحظر، وكان أول قرار لتحريم التجارة مع المسلمين فى عهد البابا إسكندر
) .3الثالث الذى أعلن تحريم التعامل نهائيا مع المسلمين سلماً وحرباً (

أفكار البابا كليمنت التحريضية ضد سلطنة المماليك:

(1) سعيد عاشور: الحصار الاقتصادي على مصر ، ص 153-154؛ محمد الزامل: الحصار الاقتصادى على مصر،ص 26.

(2) Fossier, R.,Le Moyen Age, t.3. Paris, 1983, P.266.

(3) Thatcher, A Source Book for Mediaeval History, p.288.

جاءت مراسيم البابا كليمنت الخامس مؤيدة لفكرة الحصار الاقتصادى ضد سلطنة المماليك، فالبابا كليمنت أدرك من خلال رؤيته للأوضاع الراهنة وتقارير الدعاه التى ألقت الضوء على الأهمية السياسية والعسكرية لتجارة الرقيق في دعم الكيان المملوكي فى ذلك الوقت أدرك أن الرقيق هم عصب النظام المملوكى، لكونهم العنصر البشري والقوى الأساسية التي يعتمد عليها سلاطين المماليك في حروبهم، لذلك قام البابا كليمنت باصدار مرسوم فى ديسمبر 705هـ/ 1305م بتحريم تجارة الرقيق واعتبرها فى طليعة المواد الحربية التى يجب العمل على منع وصولها الى سلطنة المماليك . (1)

ولم يقتصر الحرمان على الرقيق فقط، ففى فبراير 706هـ/ 1306م سارع البابا كليمنت باصدار مرسوم اخر نص على تحريم الأسلحة الحربية، المعادن التى يمكن استخدامها في تصنيع الأسلحة مثل الحديد والرصاص والزنك والقار والكبريت وكذلك الأخشاب والسفن والخيول، وكل مستلزمات الأسطول، وتجهيز الخيول وحذر المرسوم البابوى من العمل على السفن الاسلامية. (2)

ويتبادر الى ذهن الباحث سؤال يطرح نفسه على بساط البحث هل كانت المحرمات قاصرة على السلع سالفة الذكر ؟

مما لاشك فيه أن البابا كليمنت كان مدركا أن سلاطين المماليك وجيشهم على درجة عالية من الكفاءة والقوة ومن الممكن تنويع مصادر أسلحتهم أو المواد الخام التى تساهم فى صناعة الأسلحة فاحتفظ لنفسه بالحق فى إضافة أية مواد حربية قد يستخدمها المماليك فيما بعد وتساعد فى تعضيد قوتهم العسكرية، ونستشف ذلك من

(1) Smith,J.,R. the crusades : a history,London,2014,p.296; Friedman,J.,trade,travel, and exploration in the middle ages an encyclopedia,Leeds,2013,101.

(2) Housley, Pope Clement V and crusade of 1309-1311,p.35; Housley,N., Avignon papacy and the crusade 1305-1378 (Oxford, 1986), P.201.

العبارات الغير واضحة المعنى التى اشتملت عليها المراسيم مثل "تحريم أى سلع محرمة أو أية سلع أخرى مما يشبه ذلك. (1)

وكيفما كان الأمر ففى عام 707هـ/ 1307م حرم البابا كليمنت الخامس الإبحار إلى أراضى السلطنة المملوكية(2)، وبعد ذلك حرم التعامل التجاري مع سلطنة المماليك بأى شكل من الأشكال، خاصة في الوقت الذي دارت فيه المفاوضات مع فيليب الربع ملك فرنسا للقيام بحملة صليبية ضد الناصر محمد بن قلاوون سلطان المماليك في سنة 708هـ/ 1308 م. (3)

وفى عام711هـ/ 1311م أثناء انعقاد مؤتمر فينا(1311/713م) اتخذ البابا كليمنت خطوة لم يتخذها غيره من البابوات السابقين حيث دعا مندوبى الدول الأوروبية وألزمهم بالحضور من أجل مناقشة تطبيق الحصار الاقتصادى ضد المماليك والتوقيع على قرارات المؤتمر لتكون ملزمة وأصدر قرار بتحريم الاتجار مع المسلمين عامة والمماليك بصفة خاصة فى السلع الاستراتيجية مثل القار والحبال والخشب والمعادن المختلفة وغيرها من المنتجات التى لها أهمية خاصة فى صناعة السفن وأصبح تحريم التجارة على جميع المعدات الحربية أو المتعلقة بها، وقرر المجمع أيضا ضرورة انشاء قوة بحرية يكون لها دوراً أساسيا فى مراقبة السواحل الإسلامية والسفن الأوربية التى تحاول الاقتراب من الموانى الإسلامية بوجع عام ، وكان للبابا سلطة الاشراف

(1) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, P. 741.CF. also: Leopold, A., How to Recover the holy Land. The crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuriesBurlington, 2000,p.153.

(2) Leopold, A., How to Recover the holy Land., p.160.

(3) Ashtor, Levant Trade in the Later Middle Ages, p.23.

على تلك القوة وتم إصدار قرار يعطى الحق للبابا فى أسر ومصادرة من يحاول كسر الحظر الاقتصادى المفروض على المسلمين. (1)

اعتبرت البابوية عامة والبابا كليمنت خاصة أن كل من يقوم بالاتجار مع سلطنة المماليك يعد منتهكاً للحظر البابوي وقد أطلق على هؤلاء التجار الأوروبيين عند بداية القرن الرابع عشر مصطلح السكندريون ، فى تلك الفترة (2) .

وثمة سؤال آخر يتراءى لنا ماهى المناطق المستهدفة بالحظر فى مراسيم البابا كليمنت؟ وهل التزمت القوى الأوروبية بالحظر المفروض من جانب البابا كليمنت الخامس ؟

وفى حقيقة الأمر علينا أن نوضح أن مراسيم البابا كليمنت جاءت متكررة ففى بعض الأحيان يذكر الاسكندرية أو الأراضى الخاضعة لسلطان مصر والمناطق التابعة له أى أن مصر كانت هى الهدف الأول والأساسى لسياسة الحظر الاقتصادى. (3) أما بالنسبة الى موقف القوى الأوروبية من قرارات الحظر ومراسيم التحريم أصدرها البابا كليمنت الخامس، من الثابت أن هذه القرارات كانت موجهة بالأساس ضد التجار الأوروبيين المتعاملين مع سلطنة المماليك فما كان من هذه القرارات إلا أن ضُرب بها عرض الحائط فكان أغلب المخالفين لتعليمات البابا قاطنى المدن الايطالية بيزا جنوة البندقية التى كانت من أكثر المدن رفضاً لقرارات البابوية عامة فشعارهم منذ بداية الحركة الصليبية لنكن بنادقة أولا ثم مسيحيون ثانيا[4]وحسب هايد فإنه على الرغم من

---

(1) حسين النحال: الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس1365 – 1407م،مكتبة نانسى،2003م،ص139.

(2) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, P. 901.

(3) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, P. 901.CF also: Leopold, A., How to Recover the holy Land,p.173.

(4) Nicolle,D., crusader castles in Cyprus Greece and the Aegean 1191-157,Oxford,2013,pp.95-96.

أن التحريم الكامل أو الجزئي من قبل البابوية وتعليمات الملوك للنشاط التجاري بين ممالك أوروبا وسلطنة المماليك ظلت تتأرجح طبقاً للأحوال السياسية والعسكرية والتجارية بينهما خاصة بتدخل وضغوط من البلدان التجارية الأوروبية التي تتعامل مع سلطنة المماليك[1] كما كانت المدن الكبيرة لها قدرة كبيرة في التدخل فيما يعوق مصالحها التجارية وكانت تقاوم أحياناً الحذر بالتجارة مع سلطنة المماليك بأشكال دبلوماسية, وأحياناً خفية ومن أساليب ذلك كان كثيراً من المدن التجارية تدفع هبات وأموال إلى حاشية البابا لإصدار أذون وتصاريح بالتجارة مع سلطنة المماليك [2] .

ويمكن تفسير سبب هذه المعارضة وعدم احترام المراسيم الخاصة بالتحريم ضعف مكانة البابوية فى ذلك الوقت لدى الغرب الأوروبى هذا الضعف الذى سيؤدى أساساً لفشل مشروع الحصار الصليبى برمته على دولة المماليك [3] ، لذا كان منطقياً أن أى قرارات من قبل البابوية لن تردع التجار وتدفعهم إلى إيقاف تعاملهم مع مصر وإزاء هذه المعارضة طالب البابا كليمنت الخامس المدن الايطالية بوقف علاقاتهم التجارية مع سلاطين المماليك حتى يتم القضاء عليهم والاستيلاء بالكامل على مقدرات الدولة المملوكية، ولم يكتف بذلك بل طالب المدن الايطالية بأن يتم ادراج قرارات التحريم ضمن قوانينهم المدنية لضمان الالتزام به، وتعليق مراسيم التحريم على الشوارع الرئيسية وأبواب الكنائس، وأمر بتجهيز عشر سفن حربية تتجول فى البحر المتوسط

راجع أيضا: عفاف صبرة: العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر فى الفترة ما بين 1100-1400م، القاهرة 1983، ص100.

([1]) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. 3 أجزاء ترجمة أحمد رمضان- الهيئة المصرية العام للكتاب ، القاهرة ، 1994، ج2 ، ص262-263 .

([2]) هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ج2 ، ص 276 .

([3]) نجلاء شيحة : الجاليات الأوربية فى مصر عصر سلاطين المماليك ، ص 98 .

واسيا الصغرى ومصر وعرفت بإسم فرسان القديس يوحنا وقامت بمهمة إرهاب السفن التى تخرق الحظر التجارى مع سلطنة المماليك . [1]

وفى عام 710هـ / 1310م أصدر البابا كليمنت مرسوماً وجهه الى مدينة جنوة حيث أعلن الحظر التام تجاه سلطنة المماليك والبلاد الاسلامية التى ترتبط بسلطنة المماليك، بهدف إضعاف موارد المماليك وحرمان حزانتها من الأموال التي يحصلون عليها من التجارة. وقابل الجنويون هذا المرسوم بالتذمر الشديد واعتبروه هذا المرسوم بأنه شديد القسوة ووصل الأمر الى سبهم البابا كليمنت فى طرقات مدينة جنوة الأمر الذى أقلق البابا مما اضطره تقليل المدة من تحريم مطلق إلى عشر سنوات. [2]

ومن هذا الموقف يتضح لنا مدى عدم قدرة البابا كليمنت على تنفيذ قراراته وخوفه من أثر هذا القرارات لانه كان من قرار نفسه مدرك أنه المدن الايطالية كانت التجارة مع المماليك بالنسبة لها مسألة حياة أو موت .

وعمل البابا كليمنت على تكوين قوات استطلاع تكون مهمتها نشر رجالها فى الموانى الأوربية من أجل الكشف على المخالفين لقرارات الحظر الاقتصادى ونوع السلع على ظهر سفنهم ومصادرتها والتحقيق مع أصحابها فى حال التأكد من انتهاك قرارات البابا كليمنت الخامس. [3]

---

(1) Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, P.1000-1001.CF also: . Nicolle,D., crusader castles in Cyprus Greece,p.105;Trenchs odena De Alexandrinis El comercio prohibido con los muslmanesy yel papade de Avinon durante La primera mitad del siglo XIV, Anuario de Estudios Medievales., vol. 10 (1980), P.240-241.

(2) Walter,U.,a short history of the papacy in the middle ages,Cambridage,1971,p.125 .

(3) Trenchs odena De Alexandrinis El comercio prohibido con los muslmanesy yel papade de Avignon, p.253; Bontea,C., the theory of passagium acommercial blockade of the Mediterranean in the early

وقد أقر البابا كليمنت الخامس بعض العقوبات على مخالفي الحظر مثل الحرمان الكنسي والغرامات المالية. وترتب على عقوبة الحرمان الكنسى الحرمان الكنسي والحرمان من تولى الوظائف الرسمية والحقوق المدنية واعتبروا أعداء للمذهب الكاثوليكى. وعبيداً لمن يقبض عليهم في أثناء مخالفنهم لأوامر منع المتاجرة مع سلطنة المماليك. [1]

وجاءت أفكار البابا كليمنت الخامس عاملاً مشجعا لبعض دعاة الحروب الصليبية الذين قدموا مشروعات تحتوى على أفكار البابا كليمنت الخامس من أجل الاستيلاء على الأراضى المقدسة مرة أخرى والقضاء على سلطنة المماليك، وجاء فى طليعة هؤلاء الدعاة أمير البحر الجنوي بنيو زكريا (1307- **Benio Zaccharia** 1288) الذى قدم إلى البابا كليمنت الخامس مشروع دعوة لحملة صليبية، واقترح في مشروعه منع الحجاج الأوروبيين عن زيارة الأماكن المسيحية المقدسة، وذلك لإضعاف خزانة سلطنة المماليك وحرمانها من تحصيل رسوم الدخول لأراضيهم ، الأمر الذى حاز إعجاب البابا كليمنت الخامس لانه جاء تطبيقا لأفكار فى الحصار الاقتصادى على المماليك وحرمانهم من مصادر دخل مميزة لهم . [2]

---

fourteenth century, edited inamilitary history of the Mediterranean sea, by Yildiz,A.,Liden,2018,p.208.

(1) Thatcher, A Source Book for Mediaeval History,, p.242. CF also:Crowley,R., the accursed tower the fall of acre and the end of the crusade,Newyork,2019,p.212.

(2) Atiya,A,the crusades in the llateer middle ages,London,1935,p.60.

ونادى بمنع تزويد سلطنة المماليك بأحسن مقاتليها وبالأخشاب والحديد والقطران والمؤن، بل وطالب البابا بمضاعفة العقوبات ضد أولئك الخونة من الأوربيين. [1]

وأيد زكريا أفكار البابا كليمنت فى استخدام سلاح الحرمان الكنسى حيث رأى أن الحرمان سلاحا فعالا يمكن من خلاله للبابا عقاب الخارجين عن تعليمات البابا وأصحاب السفن التى تسمح لرجالها بالإبحار الى أراضى سلطنة المماليك بل زاد على ذلك بأن طلب من البابا بأن يتم تجريد كل المخالفين والمعارضين من أموالهم وممتلكاتهم وتؤول هذه الأموال الى خزينة البابوية للاستفادة منها فى محاربة المسلمين. [2]

وهناك الأمير هايتون الأرمينى **Hayton** الذى وضع كتابا يسمى زهور من تاريخ بلاد الشرق الذى كتبه بناء على رغبة البابا كليمنت الخامس ورأى فيه أن مصدر قوة سلطنة المماليك تكمن فى الاستقرار السياسى ونفوذ السلطان وإزدياد قوته والاستقرار الاقتصادى المتمثل فى وفرة الغلال والمحاصيل فى مصر والشام واستتاب الأمن على الطرق التجارية التى تصب فى السلطنة خاصة الطرق البحرية ونادى في مشروعه بتطبيق سياسة الحصار الاقتصادى التى تبناها البابا كليمنت الخامس المتمثلة فى حرمانهم من السلع الغذائية والحربية كالأخشاب والحديد والقار والرقيق التى تصل اليهم عبر البحر المتوسط . [3]

---

(1) Leopold, A., How to Recover the holy Land,p.193.

(2) محمد الزامل : الحصار الاقتصادى، ص 88.

(3) جمال الوكيل: استترداد الأراضى المقدسة فى ضوء مشروع الأمير الأرمينى هايتون 1307م/707هـ، بحث منشور بمجلة كلية الاداب، جامعة المنوفية، العدد 113، ابريل 2013، ص 2141-2143.

وفى عام707هـ/ 1307م طلب البابا كليمنت الخامس من جاك مولاى **Jacque of Molay** [1] مقدم جماعة فرسان الداوية [2] وفولك فيلاريه مقدم جماعة فرسان الإسبتارية إعداد مشروعا للحملة الصليبية على سلطنة المماليك، فقدم جاك مولاى مشروعه الذى أقر فيه بضرورة فرض حملة بحرية وحصار شامل على سلطنة المماليك وطالب بتنفيذ تعليمات البابا كليمنت الخامس وعدم التجارة مع المسلمين وفرض الحصار عليهم ، وأوصى بإرسال عشر شوانى إلى مياه قبرص بقيادة أمير متمرس فى فن البحر من أجل تطهير مياه البحار والقاء القبض على التجار الصليبيين الذين يفضلون مصالحهم الاقتصادية على المصالح العامة للصليبيين ولا يتورعون عن التجارة مع المسلمين وتزويدهم بالأخشاب والأسلحة التى يحتاجونها [3]

([1]) **جيمس مولاى** : ولد ما بين عامى 1243-1244م فى أقليم فيترى الذى يقع فى حوض نهر الساؤن الأعلى وانضم إلى الداوية فى عام 1265م فى Beaune فى أسقفية Autun وانتخب سيدا لها فى قبرص بعد سقوط عكا وقد وصل إلى بلاد الشرق فى عام 1275م بعد مجمع ليون وتزوج من فتاة تدعى ماريا وله ولد وفتاة وقد أسرهم المسلمون عام 1302م وتمكن من إطلاق سراحهم بعد دفع 45 ألف قطعة فضية وتوفى فى عام 1316. انظر:

Barber, M., James of Molay. The Last grand master of templars, Studia Monastica, vol. 14 (1972), pp.91-94. .

([2]) **بخصوص فرسان الدواية** أو فرسان المعبد راجع : مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى المنسوب خطأ لروثلان 1229-1261م، ترجمة أسامة زيد، مصر 2001، ص 73. راجع أيضاً :نبيلة مقامى فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام، ص 16-18 .

([3]) Schein,The west and the crusade, p. 252.

Christiansen, E., The Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100-1525 Minneapolis, 1980, p. 73.

واقترح إسناد قيادة الأسطول الى أمير البحر الأرجوانى روجيه دى لوريا وحدد البابا كليمنت عام 1308 موعدا للحملة المرتقبة. (1)

أما فولك فيلاريه مقدم الاسبتارية قدم مقترحاته الى البابا كليمنت الخامس ولم تختلف عن سابيقه حيث طلب من البابا كليمنت سرعة اعداد حملة بحرية من أجل القضاء على سلطنة المماليك وطلب بالتشديد على عدم التجارة مع المسلمين مهما كان المقابل وحدد خمسون سفينة يتم صناعتها فى كتالونيا وناربون ومرسيليل وجنوة وأن يشارك فرسان الاسبتارية فى الحملة وتنطلق هذه الحملة قبل عام 1311م شريطة تنفيذ تعليمات البابا كليمنت الخامس التى تنص على القبض على المخالفين للحظر الاقتصادى حتى تكون الحملة العسكرية ناجحة. (2)

وهناك وليم نوجاريه مستشار الملك الفرنسى فيليب الرابع (3) أرسل الى البابا كليمنت الخامس فى عام 1310م يشكره فى البداية على مجهوداته فى دعمه من أجل الاستيلاء على الأراضى المقدسة وثمن مجهوداته الحثيثة للقضاء على سلطنة المماليك وحصارها اقتصاديا، وقدم اليه مشروعا يقضى بضرورة فرضا حصاراً شاملا

(1) Leopold, A., How to Recover the holy Land,p.202.

راجع أيضا: محمد المشيخى: مشروعات الدعاة،ص112.

(2) Atiya, The Crusade in the Later middle ages,P.56.

(3) **فيليب الربع:** هو ابن الملك فيليب الثالث 1270-1285 والملكة ايزابيلا دى أراجون ولد فى عام 1235م ولقب بالجميل أو الوسيم بسبب هيئتة الحسنة تولى الحكم عام 1285م وتوفى فى التاسع من نوفمبر 1314م وعلى يده تم القضاء على جماعة فرسان الداوية.انظر:

Bordonove,G.,Philippe le bel roi de France,Paris,2013,p.45.

راجع أيضا: ناجلا محمد عبد النبى: مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك، دار عين للنشر والتوزيع،2001م، هامش4،ص 43.

على سواحل مصر والشام عن طريق إنشاء مراكز بحرية ويكون لها حق التفتيش على جميع السفن المتجهة الى أراضى المماليك والاشتباك مع المخالفين ان لزم الأمر، ولكنه اقترح أن يكون قيادة الحملة لملك فرنسا فيليب الرابع والاستغناء قدر الامكان عن المدن الايطالية حيث راى انهم من اسباب نكبة الصليبيين فى الشرق الاسلامى. (1)

ومن بعده جاء مشروع الملك القبرصى هنرى الثانى **Henry II** الذى أرسل سفرائه الى البابا كليمنت الخامس فى مجمع فيينا وجاء رأيه مشابها لمن سبقوه اقترح ضرورة شن هجمات متلاحقة على مصر والشواطئ الشامية، وفرض حصار بحري لمدة سنتين أو ثلاث مما سيلحق أشد الأذى بسلطنة المماليك وأن يتكون الأسطول من خمس عشر سفينة قوية يكون فى مقدمة الحملة ليمنع المسيحيين الذين يقدمون خيرة الجنود وأفضل الأخشاب والحديد والحيوانات والأسلحة للمسلمين من الاستمرار فى تلك التجارة، ومع استمرار تلك الهجمات مع أحكام الحصار الاقتصادى ومنع الإتجار مع المسلمين ستنهار مصر بكاملها وتترنح أمام الجيوش الصليبية. واشترط لإنجاح حملته المقترحة عدم الثقة على الإطلاق في الجمهوريات الإيطالية البحرية ، حتى تتحرر الحملة من القيود والتحكمات وضماناً لنجاحها حيث أدرك عدم جدوى ذلك الحصار اذا طبقته الجمهوريات الإيطالية لما لها من مصالح اقتصادية مع مصر بالأخص. (2)

وفى عام 1312م جاء تقرير وليم ديورانت **William Duarnt** ([3]) فى ستة وعشرين نصيحة وجاءت جميعها متوافقة مع أفكار البابا كليمنت الخامس وأكد فيها على حظر

---

(1) Delaville le Roulx, Le France en orient au XIV siecle (Paris, 1896), p. 34P.

(2) Delaville le Roulx, Le France en orient ,P.61.

([3]) وليم ديورانت: أسقف مدينة ميند الواقعة جنوب شرق فرنسا 1296–1328م كان من رجال الملك الفرنسى فيليب الرابع وكان من ضمن المختارين للتحقيق مع جماعة فرسان الداوية طبقا للرغبة

البابوية للتجارة مع المسلمين ومنع تصدير كافة السلع الى المسلمين وفرض حصار بحرى على مصر للقضاء على ثرواتها واضعافها قبل توجيه ضربة قاصمة لها. [1]

و ختاما هل نجحت أفكار البابا كليمنت فى تحقيق أهدافها بالقضاء على قوة المماليك اقتصاديا وعسكريا ؟

لم ينجح البابا كليمنت فى تنفيذ أفكاره رغم أنه اتخذ خطوات أشد من سابقيه حتى دعاه الحروب الصليبية الذين طبقوا أفكاره وتعاونوا معه أخفقوا وسنجد أن هذا الاخفاق نتيجة لعوامل:-

أولاً: عدة تتمثل فى صراع دول الغرب الأوروبى وانشغالهم بمشاكلهم الداخلية وعدم استعدادهم للتعاون مع بعضهم البعض من أجل القيام بعمل عسكرى ضد سلطنة المماليك.

ثانياً : خوف القوى الأوروبية من سلطنة المماليك حيث ذاقوا الأمرين على أيدى قوات المماليك فى حروب عدة فلم يعد لديهم الدافع لمحارتهم ولا القوة فالامر أصبح مرتبطا بالناحية النفسية .

ثالثاً : وهو العامل الأهم أن الجهاز البابوى رغم محاولات البابا كليمنت الحثيثة للسيطرة على الغرب الأوروبى لم يعد بقوة البابوية كما كان أيام البابا أوربان الثانى وغيره من البابوات وكانت كل مراسيميه مجرد كلام فقط دون وجود الوسائل أو القوة التى تمكنه لتنفيذ ذلك.

الملك الفرنسى وتوفى فى جزيرة قبرص فى يوليو 1330م، ودفن فى كنيسة القديسة مارى فى مدينة نيقوسيا. انظر:

ages, p.68. Atiya, The Crusade in the Later middle

(1) Delaville le Roulx, Le France en orient ,P.61

ملحق

مرسوم الباب كليمنت الخامس بشأن الحظر الاقتصادى ضد المماليك

أفينون 710هـ /1310م

- **يحظر نقل كل الأسلحة الحربية أو الدفاعية والمصنوعات الجلدية والمعدات الضرورية للأسلحة والسروج ومستلزمات الخيول .**
- **يحظر نقل الحديد وكافة منتجاته من الأسلحة ونقل الأخشاب الى تستخدم فى تصنيع الحراب .**
- **يمنع نقل الكتان والقنب والحبال والقار.** [1]

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية :

ابن أيبك الدوادارى: (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري) ت بعد 736هـ / 1335م

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1960م.

الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أولرخ هارمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1971م.

ابن حبيب: (بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب) ت 779هـ/ 1377م.

تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، القاهرة ، 1976 .

الحريرى: (أحمد بن على بن المغربى) ت 926هـ / 1519م

الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين من بلاد المسلمين، الإسكندرية 1984 .

أبي الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت 732هـ / 1331م

المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء، تحقيق محمد زينهم ويحى حسن، القاهرة 1999م .

---

(1) Schein,The west and the crusade, p. 252.

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت 845هـ / 1441م.

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، سعيد عاشور ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1956 – 1972م .

ثانياً المصادر الأوربية:

Delaville le Roulx, Le France en orient au XIV siecle (Paris, 1896),

Mas Latrie, Histoire de chypre, 3 vols (Paris, 1851), vol. 1, P. 412;
Thatcher, A Source Book for Mediaeval History, New York,1905

Regestum Clementis Pape V ex vaticanis archetypis, cvra et studio monachorum ordinis S. Benedicti, tome.3,Rome,1884

ثالثا: المراجع العربية :

حسين النحال:

الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى ضد مصر وتونس1365 –1407م،مكتبة نانسى،2003م .

حسين عطية:

امارة أنطاكية الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ،1998م .

سعيد عاشور :

قبرص والحروب الصليبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ،2002م .

عفاف صبرة:

العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر فى الفترة ما بين 1100–1400م، القاهرة ، 1983 .

عمر كمال توفيق:

مقدمات العدوان الصليبى الإمبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية 969–976م ، الإسكندرية 1966 .

لبنى عبد العزيز:

المبشر الأسبانى ريموند لل ومحاولاته إحياء الحروب الصليبية (1291-1315م/690-715هـ)،دار تموز، سوريا .

ناجلا محمد عبد النبى:

مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك، دار عين للنشر والتوزيع،2001م .

نبيلة ابراهيم مقامى :

فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام ، مطبعة جامعة القاهرة ، 1994 .

رابعاً : المصادر والمراجع الأجنبية المعربة :

مؤلف مجهول:

تتمة كتاب وليم الصورى المنسوب خطأ لروثلان 1229-1261م، ترجمة أسامة زيد، ، مصر ، 2001.

هايد:

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. 3 أجزاء ترجمة أحمد رمضان- الهيئة المصرية العام للكتاب ، القاهرة ، 1994.

خامساً : المراجع الأجنبية :

Ashtor, Levant Trade in the Later Middle Ages, New Jersy, 1983

Atiya,A,the crusades in the llateer middle ages,London,1935

Barber, M., James of Molay. The Last grand master of templars, Studia Monastica, vol. 14 (1972

Boase,S., Boniface VIII, London,1982

Bontea,C., the theory of passagium acommercial blockade of the Mediterranean in the early fourteenth century, edited inamilitary history of the Mediterranean sea, by Yildiz,A.,Liden,2018

Bordonove,G.,Philippe le bel roi de France,Paris,2013

Chein,S., the west and crusade attitude attempts 1291-1312,Cambridage,1979

Christiansen, E., The Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100-1525 Minneapolis, 1980

Crowley,R., the accursed tower the fall of acre and the end of the crusade,Newyork,2019

Dioguerrier,M., ii grand libro del papl ,Sanpaolo,2002,vol.1,

Fossier, R.,Le Moyen Age, t.3. Paris, 1983

Friedman,J.,trade,travel, and exploration in the middle ages an encyclopedia,Leeds,2013

Holzman, R., Wilhelm Von Nogart, Freiburg, 1898

Housley,N., Avignon papacy and the crusade 1305-1378 (Oxford, 1986),

Hously,N., pope V Clement and crusade of 1309-1311,in journal of medieval history, vol.5,1982

Kelly,D., Oxford dictionary of popes, Oxford,1996

Menache,S., *Clement V*,Cambridage,1998

Mollat,G., *Les papes d' Avingon 1305- 1378*,Paris,1982

Nicolle,D., crusader castles in Cyprus Greece and the Aegean 1191-157,Oxford,2013

Richaed, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Trans. by Janet Shirley, Amsterdam. New York. Oxford, 1979

Smith,J.,R. the crusades : a history,London,2014

Walter,U.,a short history of the papacy in the middle ages,Cambridage,1971

سادساً : الدراسات البحثية :

جمال الوكيل:

استترداد الأراضى المقدسة فى ضوء مشروع الأمير الأرمينى هايتون 1307م/707هـ، بحث منشور بمجلة كلية الاداب، جامعة المنوفية، العدد 113، ابريل 2013 .

دانا مونرو:

خطاب البابا أوربان الثانى فى كليرمونت 1095م، ترجمة وتعليق محمد مؤنس عوض، ضمن كتاب خطاب البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت بفرنسا بحوث ودراسات ، تحرير محمد مؤنس عوض وهنادى السيد، مكتبة الاداب،2018م .

سابعاً : الرسائل الأكاديمية :

محمد الشيخى:

مشروعات دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، 2001م .

نجلاء مصطفى عبد الله شيحة :

الجاليات الأوربية فى مصر .فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة بنى سويف ، مصر ، 2007.